في ذكرى رحيله

عبد الإله أحمد من زوايا قريبة

د.نادية غازي العزاوي

مرّت قبل أيام الذكرى السنوية لرحيل عبد الإله أحمد من غير إشارة أو استذكار وهو أمر يؤسف له (١)، ولاشكّ في أنّ تاريخنا القريب والبعيد مفعم بالنسيانات التي طالت كثيراً من الكتّاب والأدباء ،وحين تفتّش في هذه الذوات المقصيّة تعثر على قواسم مشتركة بينها ،منها :الاغتراب عمّن حولهم ،الصراحة الحادّة ،الصلابة في المواقف حيث لامرونة ولا وسطية ،فضلا عن تمرّدهم على السائد والمعتاد.... إلخ ،ولكنّ هذه الشخصيّات غالباً ما تخفي وراء حدّة مظهرها فيضا من العواطف تعلن عن نفسها في كلمة حانيّة أو ربما حتى دمعة حين يستدعي الأمر ذلك .شخصيات بمثل هذه المواصفات يسهل وقوعها في حالة مركبة من سوء الفهم،عبد الإله أحمد من هذا النمط ،عاش ومات منفعلاً مع الآخر بسبب من ملابسات سوء الفهم وتبعاته :سوء فهمه للآخر من جهة ، وسوء فهم الآخر له من جهة أخرى.

-١-

عبد لإله أحمد (الإنسان) المفتاح الذي تترتّب عليه كل النعوت الأخرى المكمّلة ، أعني : الباحث والناقد والأستاذ والأكاديمي.... إنه الإنسان الذي عليك أن تتقبّله بتناقضاته ومشاكساته ولا تعترض ،عليك أن تتقبّله هكذا بهذه الكتلة المتجانسة أو غير المتجانسة، من هذه الكتلة التي قد نختلف في أحكامنا عليها-إذا جاز للبشر إطلاق الأحكام على بعضهم- تجلّت لي إنسانيّته في جملة مواقف ،هي حصيلة مرحلة طيبة من التلمذة عليه، تلمذة امتدّت فصارت صداقة إنسانية وثقافية مع حفظ اللقب والرتبة والمكانة .

قال لي يوماً في بعض حواراتنا المتشعّبة – وحرب الشوارع والجثث المرميّة على الأزبال تخنق أيّ منفذ لأمل او طعم لحياة- قال : – أنا لم أياس بعدُ من العراقيّ، ولن أنفض يدي منه ،فما زلت أراهن على الورقة الرابحة ، على الجوهر العراقي الذي يتوهّج فجأة في أحلك الظروف ومن حيث لا تتوقّع، نعم لقد اشتغلوا علينا طويلا في الداخل والخارج، لتحطيم هذا الجوهر وطمسه: بالقتل والحصار والحروب والتزييف والتجهيل والتجويع والتركيع والتهجير والتغريب، حتى نجحوا في تشويه المتن كثيرا،ولكن ندّت عنهم وقاومتهم مساحات منه ،هي التي أراهن عليها ،هذا الجوهر المسنود بإرث تاريخي عريق أذكى من أن ينساق إلى حروب أهلية،إنّ العراقي كائن مسكون بحبّ الحياة مثلما هو مسكون بالسياسة من الولادة حتى الممات ،فهو يعي كواليس اللعبة القذرة ، ولن تنطلي عليه الأقنعة والأدوار الجديدة .

كيف سيتجلّى هذا الجوهر ؟ و متى ؟ و أين ؟ و بأيّة طرق؟لا أملك إجابات محدّدة، ولكني أملك قناعة أقرب إلى اليقين امتحنتها ظروف الواقع العراقي الذي خبرته جيداً لنصف قرن.

-٢-

يمثّل عبد الإله أحمد صاحب المشروع التأسيسيّ في نقد القصة العراقية الذي أشاد لها عمارتها –على حدّ تعبير علي جواد الطاهر في بعض إهداءات كتبه له- أنموذج المثقف العراقي التقدميّ المهدور الذي تعاورت على تضييعه ظروف عامة وشخصية ،نجحت في تثبيطه وتحجيم إنجازه وصولاً الى مرحلة الصمت /الموت،عوامل كثيرة أسهمت في هذا: الواقع العراقي الساخن بانقلاباته وثوراته الدموية ،وقلق الأسئلة الفكرية والثقافية المفصلية تقضّ مضجع المثقف التقدميّ المحاصر بمؤامرات إقليمية وغربية تسعى بقوة الى تحطيمه والإجهاز على توجّهاته الفكرية التي آمنت بالأدب للحياة ،وبالكلمة من أجل التغيير،لقد تفتّح وعي هذه الأجيال من أبناء الطبقة الوسطى المتطلعة إلى النهوض الثقافي في الخمسينيات والستينيات ،وتشكّلت ذائقتها على قراءات واعية للتراث العربي والعالمي في الشعر والقصة والمسرحية ،وفي أجواء من الحرية النسبية أتاحت إرساء تقاليد حضارية وثقافية متميزة اسفرت عن نشاط ملحوظ في حركة المكتبات والمقاهي العصرية ودور السينما،فضلاً عن الجامعات العربية والعالمية العريقة التي أرسلوا إليها في زمالات وبعثات دراسية في مختلف العلوم والمجالات،كانت ثمارها مواسم وارفة بالعطاء في العمارة والرسم والنحت والترجمة والتمثيل والنقد والرواية، وغيرها . ولكن هذا المشهد الذي كان يمور بالتآليف والمعارض والعروض والمناقشات ، سرعان ما تفجّر على خلفية أحداث سياسية دامية تصادمت فيها أجيال من المثقفين متورطين حتى النخاع بالتجربة السياسية بانتماءات حزبية منظّمة أو بميول وطنية حرة ، فكانت السجون وكانت المجازر والمنافي والحصيلة النهائية مثقفون مصلوبون على مفترق خيارات مرة: الغربة أو الصمت أو الانصياع لأحابيل السلطة والقبول بغسيل الأدمغة ، أو –في أحسن الأحوال- المراقبة بانتظار الذي يأتي ولا يأتي ،كان موقف د.عبد الإله أقرب الى الخيار الأخير ،فلم يكمل المتابعة المنهجية الدقيقة لمستجدات الرواية والقصة العراقية وهي تدشّن تيارات وأساليب جديدة لم يكن مقتنعا بها كثيراً ولا بجدواها، بل كان مرتاباً في تطرّفها في عزل الأدب عن سياقاته الاجتماعية ،وإن كان –في الحقيقة- لم يكفّ عن قراءة الإصدارات الجديدة ،ولكنه توقّف فعلياً عن الكتابة عنها ،كان يرى في كثير ممّا يصدر كمّاً مجرّدا يُؤشّر تراجعاً في نوع ودرجة الإبداع ، وهو جزء من تراجع مجتمع كامل بسياقاته وأنساقه الحضارية،ومثله الأعلى في تقييماته النقدية الأعمال الروائية والقصصية العالمية الخالدة، تلك الروائع التي ظلت شاخصة في ضميره إعجاباً وتقديراً، ولكنه أراد للقصة العراقية أن تكون صوت نفسها وليس صدى الآخرين لكي لاتقع تحت طائلة الاستلاب الثقافي فيكون مقتلها.

وطال انتظاره وصمته، وهدر مشروع ناقد بارز يعدّ في طليعة النقاد العراقيين ،لقد انكفأ على منجزه الأول ،وتقوقع على حلمه القديم ،ولم ينتج جديداً يوازي ما قدّم فكانت خسارة فادحة.

(١) نستثني بحبّ الندوة التي أقامتها جامعة بابل بعنوان (عبد الأله أحمد معمار القصة العراقية) يوم ٢٣/٥/ ٢٠١٠ في التفاتة تستحقّ الإشادة والتقدير.

اكتشاف مذهل:

العثور على أول صورة للشاعر رامبو وهو في سن البلوغ

ترجمة: عدوية الهلالي

في مدخل فندق (العالم) في عدن ، يمكن مشاهدة الشاعر الكبير رامبو جالسا الى يمين إحدى السيدات من خلال صورة التقطت له ثم تم تكبيرها ...ولأنها المرة الأولى التي يمكن فيها رؤية ملامح الشاعر الراحل بوضوح وهو في مرحلة البلوغ فقد تم اعتبار هذا الاكتشاف رائعاً ..بدات القصة منذ عامين ، حين عثر على مجموعة من الصور التي كان يلتقطها المصورون المتسكعون للسائحين الاجانب ، وكانت ضمن مجموعة من الكتب وبطاقات التهنئة ضمتها بضاعة مستعملة من النوع الذي يتاجر به العديد من الفرنسيين ..وتمثل الصورة مجموعة من السياح الذين ينتمون الى الطبقة البرجوازية بشواربهم الكثيفة وملابس نسائهم المحتشمة ، وعلى ظهر الصورة كتبت عبارة (فندق العالم) فكانت هذه العبارة المفتاح الذي قاد الى حل اللغز !!مصادفة ، عثر تاجرا الكتب ،البان كوزيه وجاك دينيس على هذه البضاعة واثارت العبارة المكتوبة على ظهر الصورة اهتمامهم ، وسبب ذلك هو ان فندق (العالم) هو الفندق الذي اقام فيه رامبو في عدن في الفترة التي ابتعد فيها عن فرنسا ، لذا عمد التاجران الى شراء البضاعة كلها بهدف اكتشاف سر الصورة ..ولم يعرف احد بالطبع من اين جاءت تلك البضاعة وكم كان ثمنها لأن التاجرين المسرورين باكتشافهما لم يعلنا عن ذلك ،واطلقا على نفسيهما لقب (صيادا الكنوز) ولم يكتف التاجران باصطياد الصورة (الكنز) بل استعانا بعدد من الخبراء ليؤكدا حقيقة وجود رامبو ذاته فيها ...وبعد التدقيق في الامر ، تبين ان كل الإشارات ايجابية ومنها تزامن الفترة التي تم فيها التقاط الصورة مع تواجد رامبو في عدن واسم الفندق والتفاصيل الأخرى التي تحيط بها اضافة الى الشخصيات الموجودة معه في الصورة ...كان اهم شخص استعان به التاجران هو الخبير المتخصص في حياة وادب رامبو

(جان جاك لوفرير) والذي سبق له كتابة سيرة حياة رامبو ،وهو الذي اكد تطابق ملامح الشخص الموجود في الصورة مع ملامح رامبو (المتخيلة) في فترة بلوغه معتبرا هذا الاكتشاف كنزا تاريخيا هائلا ..الف لوفرير كتابا عن هذا الاكتشاف اطلق عليه عنوان (مراسلات مابعد الموت) وضم رسائل ووثائق ومقالات تدور جميعها حول رامبو منذ وفاته عام ١٨٩١ وحتى عام ١٩٠٠ ، وتم ذلك بعد ان درس لوفرير الصورة بنفسه واعطى تصوره عنها بعد مقارنتها بصور لرامبو في فترة مراهقته وماوجده من تطابق في النظرة والتعبير وقسمات الوجه ..لكن الحدس وحده لايكفي كما يقول لوفرير لذا جند نفسه لاجراء بحث ودراسة بالغي الدقة مع اجراء مقارنات بين المعلومات والوثائق والصور المتوفرة لديه ..وهكذا ، وبعد تكبير الصورة ، حقق التاجران والباحث لوفرير على انجازهما التاريخي الكبير بالحصول –ولأول مرة – على صورة لرامبو وهو في سن البلوغ ...اعقب ذلك نشر مقال خصصه جان جاك لوفرير وجاك دينيس لهذه المغامرة المدهشة في عدد من مجلة التاريخ الادبي يتحدثان فيها عن جلوس رامبو في مدخل فندق في عدن بين جماعة من البرجوازيين بينما تعكس نظرته رفضه الاندماج وسط هذا الجو البرجوازي ...انه يبدو وكانه يتعرض الى استجواب ويجيب على اسئلته بالصمت والنظرات المبهمة الى لاشيء ..انه ينظر الينا من خلال الصورة لكنه لايقول شيئا ، اذ كان قد قال كل شيء في السنوات العشرين الاولى من حياته قبل ان يصل الى عدن فيتصرف هناك وكانه يهرب من شيء ما او يحلق بعيدا ..اصدر لوفرير كتابه (مراسلات مابعد الموت) عن دار فايارد للنشر مؤخرا بينما تم عرض الصورة للمرة الاولى في ١٥ نيسان الفائت في صالون الكتب القديمة في غراند باليه في باريس ...

متابعة

الشاعرة جنان العيداني في اتحاد الأدباء

تتجاوز عقدة الجندر الأنثوي

محمود النمر

ضيف اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين ،الشاعرة ضمن نشاط الأربعاء الثقافي جنان العيداني ،وقدمت الجلسة القاصة إيناس البدران قائلة : ان هذه الشاعرة استطاعت ان تسطو على الحلم، منذ كانت صبية حين شاهدت الشعراء في مدينتها البصرة ،نخلة العراق الباسقة ،ففي المربد اكتحلت عيناها بالشعر فكانت الكلمات تتشكل امامها فراشات حالمة بالنرجس، فحلقت مع الفراشات الناعسات، واختلجت، فنضجت شعرا ونترا ،وحبكت ثوبها بالكلمات العاشقات ،فصارت جنانا يتشكل منها الحلم .

بعدها تحدثت المحتفى بها عن تجربتها الشعرية والقصصية وعن البدايات التي الهبت عندها الفضاءات الفسيحة التي اوصلتها الى إيقونة الشعر واحرقت حياتها بالكلمات كي تتصل وتصل الى عالم الاسئلة التي كونت جنان العيداني وقالت: في البداية سأقرأ لكم نماذج من شعري ثم اتطرق الى عالم العروض التي اكتسبت من خلاله على درجة امتياز، وطلب مني الاخوان في الاردن توظيفها في المناهج الدراسية في علم العروض الحاسوبي .ثم قرأت بعضا من قصائدها / ضد ان يخرس صوتي /ضد ان انفى الى معقل صمتي / ضد ان ترهبني آهات وقتي /او ينوء الحب عني / خلف اسوار التشظي بين اكفان وصمتي /ضد ان اوصف باللون وبالعرق ويلغى اصل نعتي /فانا ثلج شمالي جميل /برتقال ونخيل / نبض صحراء ونهر.

وقالت عن قصيدة النثر : انا قلما كتبت قصيدة النثر ولكني كتبت قصيدة الشعر الحر او التفعيلة ،انا مع كل اشكال الفنون الشعرية ،قصيدة النثر والتفعيلة والعمودية المهم هو الابداع ،كيف يحمل الشاعر الفكرة الى المتلقي ومعه هذه الصورة الفنية الجميلة وممكن ان يكون الايقاع ، اذا كانت قصيدة التفعيلة او الوزن ،انا مع الاثنين مع الإبداع في كل اشكاله،وحاولت مع كتابة قصيدة النثر واعتقد اني نجحت في ذلك،ولكني ابقى مع موسيقية القصيدة ،فقصيدة التفعيلة هي الحل الوسط مابين قصيدة العمود وقصيدة النثر.

وقال الناقد علي حسن الفواز : ان جنان العيداني رغم اشتغالاتها العلمية ولكنها مازالت مرتبطة بعوالم الإبداع ، ولكي يكون الحديث فيه شيء من التواصل مابين المتلقي وما بين الشاعر ،وان تجربة الشاعرة تستحق التوقف عندها اولا لانها تكتب بشكل واع،وانها تحاول ان تعطي تجربتها الشعرية والقصصية تميزا استثنائيا، وتحاول ان تتجاوز عقدة الجندر الانثوي في تجربتها لتؤكد انها حاضرة ،وبأن الحضور هو الذي يعطي للتجربة الشعرية القيمة التي يشتغل عليها النقاد ، وانا متيقن من ان تجربتها السردية حريصة على الغوص في عوالم المرأة ،المرأة التي تحاول ان تتمرد على بعضها ،وتقدم لنا نموذجا لااقول لامرأة بطلة تاريخية ،لكنها بطلة تؤمن بواقعية التفاصيل التي تحوطها ، وبالتالي فانها توظف هذا الوعي القلق وهذا الوعي الشقي وهذا الوعي الانساني ، وانها تحاكي الكثير من الظواهر ،وعلاقتها مع الرجل وعلاقتها مع الحياة و المجتمع وعلاقتها مع كل الثقافات المسكوت عنها المهيمنة في مجتمع له تعقيداته وله تجاذباته ،فاعتقد ان التجربة والرؤية التي تمتلكها القاصة جنان في انها تعطي تجربتها بعدا آخر يجعل سردية الكتابة التي تكتبها تملك شيئاً من التميز ، وكنت اتمنى لو ان هذه المجموعة طبعت لكي تكون الكتابة عنها مشروعة .فيما اكد الشاعر محمد حسين آل ياسين ان تجربة الشاعرة جنان جاذبة للإعجاب اولا بحضورها الشخصي وثانيا بقصائدها التي اختارت والشعر اختيار دائما وان تكون مخلصة لقصيدة التفعيلة ،وانا انحاز لهذا الاختيار، لاني كنت ومازلت اعتقد بأن موسيقى الشعر جزء لا يتجزأ من الإبداع فيه ،وليست قضية مستقلة وانما هي غير خاضعة للنقاش في الكلاسيكي والحديث ،لانه لم يختلف اثنان الى اليوم على إن الموسيقى ليس فيها مثل هذا الاعتبار.

قناديل

بين الثقافة وملح الأرض

لطفية الدليمي

محنة كثير من المثقفين – وأخص الكتّاب والنقاد وحشدا من الشعراء والرسامين والمنظرين – هي انشغالهم بالتجريد، وانهماكهم في صوغ المعاني ونقد السائد وملاحقة المصطلح، وترويض العبارة، بينما المجتمع يتهاوى او يتعرض للفتك والتفكك والتشرذم، محنتهم الأخرى أنهم في غالبيتهم (أدركتهم حرفة الأدب) – باستثناء من ربطوا جيادهم الى عربات السلطة– في كل آن ومكان، لذا تجدهم يصلون الليل بالنهار ليحققوا لأنفسهم قدرا من كرامة العيش يساعدهم على المضي في صوغ الافكار ونقد السائد وترويض اللغة، بمعنى آخر، إنهم يدورون في حلقات مفرغة من التجريد الحياتي والإجرائي، تحول بينهم وبين الإنجاز التضامني مع الجموع المنتهكة والمجوّعة والمهمشة في أوطانها، وإن وجدنا قلة منهم تحاول إسداء العون الإنساني لمن هم أقل حظا في الحياة، فإن البعض الآخر يستنكف ذلك مستسلما لوهمه البائس عن الشهرة وأضوائها وأبراجها الهوائية وأرى منهم الكثرة الموهومة بشهرتها وانتفاخها البالوني .غير ان هناك بيننا من المثقفين الصموتين الفاعلين بعيدا عن ضجيج الاعلام وادعاءات الريادة في شيء ولايعنيهم إسباغ الألقاب الفارغة عليهم كما يفعل البعض ممن يزدحم بهم المشهد العام ، الصموتون ممن نسميهم ملح الأرض، ليسوا بالمدّعين ولا المبتغين شهرة أو مالا أو جوائز، يعملون ليل نهار في خدمة الأشخاص الأشد حاجة، ممن دمرت الحروب والسياسات الحمقاء في العراق حيواتهم، ووجهت مصائرهم نحو الخراب، ويجهدون ليكون الإنسان في –أقل تقدير– ضمن موقع يجنبه الأذى ويحفظ له بعض كرامة إنسانية، وإن في بلاد غريبة. سيدة عراقية نضرة وهي في الستين– بعقل متفتح ورؤية إنسانية وجمالية عالية، أطاحت ثورة ١٤ تموز بعائلتها المرموقة، وأورثتها جرحا لم يكن ليندمل، لولا قوتها وبأسها وإصرارها على أن تحتفظ بتوجهها الإنساني ونقاء ملحها، مثقفة مجادلة وقارئة ممتازة بلغات عدة تفوق في ثقافتها واطلاعها الكثيرين من دعاة الثقافة ،تعتزم تدوين تجربة حياتها الثرية في رواية او مذكرات ، لكن انغمارها في الأنشطة الإنسانية يدفعها لتبحث عن المتعبين والحزانى والذين جرى استغلالهم لتنجدهم وهم في متاهة الضياع ، دون النظر إلى دينهم او عرقهم أو قوميتهم او خطيئتهم ، تراها تعدو بين الجهات الدولية والسفارات والمنظمات الإنسانية لتوفر علاجا لسيدة او لمجموعة أطفال من مصابي السرطان والحروب، او تساعد في البحث عن بلاد لجوء لمن يهددهم العنف والتطرف الديني والطائفي والتفكك الاجتماعي، أو توفر سكنا لأسر تعيش مشردة في الأزقة. هذه السيدة التي توقف التاريخ النفسي لديها عند سقوط الملكية وهي صبية صغيرة، تتمسك بالعراق حد التشدد، وترفض ان تستبدل بجوازها جوازا تستحقه من دول اعترفت بجهودها الإنسانية الكبيرة ومكانتها ،بمثل هذه السيدة تدوم الإنسانية وتواصل رقيّها وسط التوحش والعنف والإرهاب والجشع، ومع أمثالها من المثقفين الفعّالين يمكن للحياة ان تطيب بملح الارض النقي – فهم الذين اختاروا أن يكونوا أقوياء بالمحبة، لا بالحقد ونقد السياسات والتعالي على البشر بشهرة بائسة، هم بحر من الماء الرائق الذي يمثّل الإنسانية في تجلياتها الثقافية الأسمى، ممارسو ثقافة المحبة وقوة الروح. «الكراهية تقتل دائماً، الحب لا يموت ولا يفسد، ما نجنيه من الحب يبقى إلى الأبد، الذي نحصل عليه بالكراهية يصبح عبئاً لأنه يكرس الكراهية». هذه مقولات للمهاتما غاندي، أحد رسل المحبة الكبار في عالمنا، ولأن السيدة من دعاة اللاعنف، ومروجي المحبة في حياتنا، أطلقت على ابنها اسم غاندي.. لقد حوّلت هذه المرأة معارفها واللغات العالمية التي تجيدها ومأساتها أساسا – الى فيض من حب للإنسانية، ولم تدع الحقد على القتلة يُفسد ملحها، بل تعالت على جراحها وجعلت حماية الروح الإنسانية غاية أفعالها.نعم،النص يمتع، والرواية تسعد قراء، والمقالات تحرّض والنظريات تحفّز، لكن توظيف الثقافة الشخصية في الفعل الإنساني هو الاستثناء، وهو الرواية الأروع التي لا ترمي الى شهرة أو كسب أو تداول نفعي أو قيمة مضافة، لأن القيمة متضمنة في التكوين الروحي للمرء الذي يحمل سر ملح الأرض ، إنها لرواية جليلة نقرأها بصمت وخشوع ودون ترويج دعائي، كما يفعل بعض المثقفين المهووسين بالشهرة، ولن أذكر اسم السيدة جميلة الروح والوجه والأفعال والحضور– لأنني لم استشرها في الكتابة عنها وهي أساسا من الزاهدين.